

نظرية التأدب في اللسانيات

محمد حمراوي، الجزائر2

مقدمة

يعد الاشتغال على نظرية التأدب اللسانية من بين أهم التطورات الأخيرة للتداولية، وهو اهتمام يتأتى من الدراسات التي أولت اهتماما كبيرا للعلاقة البين-شخصية في مجال التفاعلات اللغوية وتحليل التخاطب. ويعدّ مفهوم الوجه أو الحرم المفهوم الأساس في نظرية التأدب. وبصفة تاريخية تجدر الإشارة إلى مساهمة ر. لايكوف (1973) التي اقترحت أن نضيف إلى القواعد التخاطبية « لغرايس » مبدأ من صنف "كن متأدبا" وفصلته إلى القواعد الآتية :

تقيد باللياقة : (لا تفرض نفسك على الناس).

تردد : (اترك لمخاطبك الاختيار).

رفقة : « تصرف كما لو كنت أنت وقرينك متساويين».

(شارودو & منغنو 2008 : 429).

ثم تأتي بعد ذلك مساهمة ليتش (Leech 1983) الذي يرى هو الآخر أنه بجانب مبدأ التعاون لغرايس يجب

« أن نقبل مبدأ الآداب . إلا أن نسق قواعد الآداب عنده

سيتمفصل بطريقة منسجمة حول مفهومي التكلفة والريح شاملا

عددا من القواعد : (لياقة، سخاء، مصادقة، تواضع، موافقة،

استلطاف). « (شارودو & منغنو 2008 : 429).

وتبقى هاتين المساهمتين مجرد أفكار، على أهميتها لا ترقى إلى أن تمثل نظرية محكمة للآداب، تمكن من الاستثمار في مجال تحليل التفاعلات اللغوية، « ومع ذلك فإنما ندين لـ ب. براون و

س. لفنسن (1987-1978) « بالإطار النظري الأكثر إحكاما وشهرة واستغلالا، وبالطبع الأكثر عرضة للنقد أيضا.» (شارودو & منغنو 2008 :429.)

ونموذج براون ولفنسن مستوحى أساسا من غوفمان ويمثل مفهوم الوجه المفهوم المركزي في النموذج. وبناء على هذا المفهوم تأتي مفاهيم أخرى من قبيل الوجه السلبي والوجه الإيجابي والأفعال المهددة لكل من الوجهين السلبي والإيجابي (FTA).

يمكن أن نقف في التقاليد الفلسفية بخصوص الأخلاقيات اللسانية وحكم التخاطب على فكرتين طرحهما كل من إيمانويل كانط E. Kant في *Critique de la raison pure* وجون لوك

J. Locke في *Essai sur l'entendement humain*:

يقول كانط : « لا يمكنني أن أوكد، أي أن أقدم حكما مقبولا بالضرورة عند الجميع، إلا ما يولد القناعة، فأنا أفكر في الاحتفاظ النفسي بالاعتناع إن استحسنته، لكن لا أستطيع، ولا ينبغي أن أروجه خارج ذاتي.» (Kant 2001 : 53).

فحتى يتم التبادل اللغوي لا بد من تحقق قواعد تضبط هذا التبادل ليس فقط على المستوى اللغوي وإنما أيضا وبصفة إلزامية على المستوى غير اللغوي.

« نعلم منذ زمن طويل أن التبادل اللغوي في الحياة الاجتماعية تحكمه قواعد لا تركز على البنية الصرفية النحوية للقول فحسب، بل تركز كذلك على قيود تحكم الشخص المتكلم. » (سيلفان أورو وآخرون 2012 : 507).

أما بخصوص لوك فهو يرجع عدم فهم المستمع للمتكلم، أو فهم المستمع للمتكلم فهما خاطئا إلى الأسباب الآتية :

« استعمال كلمات لا ترتبط بها أي فكرة أو على الأقل أية فكرة واضحة،

عدم الثبات في طريقة استعمال الكلمات،
 التطبيق الخاطئ للكلمات،
 الخلط بين الكلمات والأشياء،
 منح الكلمات دلالات لا يجوز إعطاؤها لها،
 الافتراض بأن للكلمات دلالة ثابتة وجلية،
 الاستعمال المجازي للكلمات» (سيلفان أورو وآخرون 2012 :
 507).

ولتلا في عدم الفهم أو الفهم الخاطئ يقترح لوك المعايير الآتية :
 «عدم استعمال أي كلمة دون أن كون هناك فكرة وراءها.
 استعمال الكلمات في معناها الحقيقي.
 الإعلان عن المعنى الذي تستعمل فيه الكلمات.
 الاستعمال الدائم للكلمة نفسها في المعنى نفسه، والإخطار
 بالأمر عندما يتغير معناها» (سيلفان أورو وآخرون 2102 :
 507).

إن العلاقات التي يقترحها لوك كناية عن حكم يوجهها إلى المتكلم
 الذي يكون حرا في أن يتبعها أم لا. « وفي المعنى الحقيقي للكلمة،
 إنها حكم أخلاقية » (سيلفان أورو وآخرون 2102 : 507).
 غير أن التتبع التاريخي لهذه الحكم والأخلاقيات أو القواعد
 يرجعنا إلى ما قبل كانط ولوك. إنه يرجعنا إلى أفلاطون الذي
 أدان علم البلاغة (Rhétorique) من خلال ما يظهر من محاوره
 غورجياس (Gorgias) « التي وضعها أفلاطون أول نص ذي شأن
 في التقليد الغربي رَبطَ نقد المادة المتعلقة باللغة (أي علم البلاغة)
 بنتائجها العملية » (سيلفان أورو وآخرون 2102 : 500) وستتناول
 مقطعا من هذه المحاوره :

« سقراط : كنت تقول الآن إن الخطيب يتمكن من إقناعهم أكثر
 من الطبيب حتى في المواضيع المتعلقة بالصحة.
 غورجياس : فعلا، أمام الحشد.
 سقراط : أمام الحشد، أي بلا شك، أمام من لا يعلم؟ لأن الخطيب

أكثر إقناعاً من الطبيب أمام من لا علم.
غورجياس : معك حق.
سقراط : من ليس طبيباً يجهل ما يعرفه الطبيب.
غورجياس : ذلك بديهي.
سقراط : إنه جاهل يتكلم أمام جهلة ويتغلب على العالم عندما يتغلب الخطيب على الطبيب. أهذا ما يحصل حقاً.
غورجياس : إنه كذلك، في مثل هذه الحالة على الأقل.»
(Platon: 1966: 459.)

على أنه لا يمكن اختصار الأخلاقيات اللسانية عند أفلاطون في مجرد إرشادات حول استعمال اللغة، فهذه الأخلاقيات ترتبط بدوافع ميتافيزيقية.

نعود إلى مقطع لافت في نص المحاورة بين غورجياس وسقراط يبين فيه كل واحد منهما رؤيته ودعواه.

«غورجياس : أوليست موهبة رائعة يا سقراط أن تحصل على قدرة موازنة العلماء من دون دراسة أي مادة أخرى غير هذه المادة.» (أفلاطون 1970: 451.)

هذا عن نظرة غورجياس، أمّا موقف سقراط فيظهر في قوله في المحاورة : سقراط :

« لا تقدم حججك للدفاع عن أمر تعرف أنه خطأ أو لا تعرفه... لا يحتاج فن البلاغة إلى معرفة حقيقة الأشياء، ما يحتاج إليه هو طريقة إقناع اخترعها من أجل أن يبدو عالماً أكثر من العلماء أمام الجهلة.» (أفلاطون 1970: 459.)

اللافت أن الحكمة الأخلاقية عند سقراط : «لا تقدم حججك للدفاع عن أمر تعرف أنه خطأ أو لا تعرفه» ستصبح هي نفسها مسلمة الصدق عن غرايس : « لا تقل ما تعتقد أنه خاطئ، أو لا تستطيع البرهنة عليه.»

من بين الميزات الأكثر ملاحظة في التطورات الحديثة للتداوليات اللسانية، النزوع إلى دراسة التأدب في التفاعلات اللغوية.

« فقد أصبح مؤكدا اليوم أنه من المستحيل أن نصف بفعالية ما يجري في التبادلات التواصلية دون أن نضع في الحسبان بعض مبادئ التأدب. » (kerbrat-Orechioni 1996 :50)

ومن زاوية أو من أخرى يمكن اعتبار «التأدب ظاهرة لسانية حسيّة». (kerbrat-Orechioni 1996 : 50). وظهر هذا الوعي في سنوات 1970 (السبعينات) بوصفه مجالا جديدا للبحث بفضل باحثين مثل لاكوف (R. Lakoff) وليتش (G. Leech) وخاصة براون ولفنس (P. Brown et S. Levinson S.) ويعد نموذج براون ولفنس النموذج الأكثر شهرة والأكثر تداولاً، وهو يمثل الإطار النظري لنظرية التأدب اللسانية ومرجعا لكل الدراسات التي تعنى بهذا المجال.

ويمكن اعتبار نظرية التأدب في معناها الواسع على أنها : «كل مبادئ الخطاب التي تضبط بواسطة قواعد تضمن خصائص الانسجام في العلاقة بين شخصية.» (Kerbrat-Orechioni 1996 : 51.)

نموذج براون ولفنس

يتأسس مفهوم التأدب عند براون ولفنس على مفهوم « الوجه Face » وهو مصطلح مستعار من غوفمان فيما يطلق عليه الحرم (Territories).

مفهوم « الوجه »

بحسب براون ولفنس يمتلك كل فرد وجهين : «الوجه السلبي : وهو يتعلق بما يطلق عليه غوفمان « الحرم الشخصي » وتتمثل في الحرم الجسمي، المكاني، الزمني أو المعلومات السرية. الوجه الإيجابي : وهو يتعلق بالانرجسية وبمجموع الصور المثمنة التي يكونها المتخاطبون ويحاولون فرضها في أثناء التفاعل. » (Kerbrat-Orechioni 1996 : 51).

مفهوم الـ « FTA »

في كل تفاعل هناك مشاركين، فإذن هناك أربعة وجوه، ومن جهة أخرى في كل مراحل جريان التفاعل يتوجه المتخاطبون إلى إكمال عدد معين من الأفعال اللغوية وغير اللغوية، في حين يشكل جزءا كبيرا من هذه الأفعال تهديدات محتملة لواحد و، أو لواحد آخر من هذه الوجوه الأربعة (Kerbrat-Orecchioni 1996 : 51).

وهذا ما يفهم من تعبير « فعل تهديد الوجه (Face Threatening Act) الذي اقترحته كل من براون ولفنسن، « وهذا التعبير يحدد الأفعال المهددة للوجوه، تعبير شعبي في صيغة الاختصار » FTA « وهذا الاختصار يمثل اليوم جزءا من المعجم الأساسي لكل باحث في التخاطب (Kerbrat-Orecchioni 1996: 51).

وعلى هذا الأساس تنقسم أفعال الكلام إلى أربع فئات :

أفعال مهددة للوجه السلبي للذي ينجزها : مثلا في حالة عرض، أو وعد.

أفعال مهددة للوجه الإيجابي للذي ينجزها : مثلا الاعتذار أو النقد الذاتي.

أفعال مهددة للوجه السلبي للذي يتلقاها : مثلا الأمر، المنع، أو النصح.

أفعال مهددة للوجه الإيجابي للذي يتلقاها : وهي كل الأفعال التي يمكن أن تضع نرجسية الآخر في خطر مثل النقد، الدحض، اللوم، الإهانة، السخرية (Kerbrat-Orecchioni 1996: 25).

مفهوم الـ Face Want

إذن من جهة، وطيلة فترة التفاعل، تمثل الأفعال المنجزة تهديدا محتملا بالنسبة للمتفاعلين، ولكن من جهة أخرى يجب أن تنقاد هذه الأفعال إلى سلطة عالية : « صونوا الأفراد الآخرين » (Kerbrat-Orecchioni 1996 : 52) لأن ضياع الوجه يعد إخفاقا رمزيا. « مفهوم

الوجه لا ينضاف فقط إلى مفهوم الـ FTA، ولكن ينضاف أيضا إلى الـ Face Want، أو رغبة الحفاظ على الوجه، في مواجهة هدف التهديدات المستمرة.» (Kerbrat-Orecchioni 1996 : 51.)
 على هذا الأساس نكون أمام مواجهة في الصيغة الآتية :
 هدف التهديدات المستمرة ↔ الرغبة في الحفاظ على الوجه.

ولكن كيف يتم تجاوز هذه المواجهة ؟

يتم ذلك حسب غوفمان بإتمام عمل « التصوير » (Work Face) ويعبر هذا المصطلح على : « كل ما يسعى شخص للقيام به حتى لا تتسبب أفعاله في ضياع وجه شخص آخر أو وجهه هو نفسه

» وحسب براون ولفنسن يتم ذلك باستخدام إستراتيجيات التأدب المختلفة، من هذا المنظور يعد التأدب أداة للتوفيق بين الرغبة المشتركة للحفاظ على الوجه وبين التهديد المحتمل الذي تحدثه أغلب الأفعال الكلامية لهذه الوجه» (: 5. 1996 Kerbrat-Orecchioni).

وعليه فإننا حسب براون ولفنسن أمام جرد ووصف مختلف الإستراتيجيات التي يمكن أن تكون في خدمة التأدب، ويتم اختيار إستراتيجية معينة من بين الإستراتيجيات العديدة وفق ثلاثة عوامل:

- درجة خطورة الـ FTA.
- المسافة الاجتماعية الموجودة بين المتخاطبين (العلاقة الرأسية).
- علاقة السلطة (العلاقة الأفقية) (Kerbrat-Orecchioni 1996 : 51).

قام هذان اللسانيان سنة 1978 انطلاقا من مفهوم « الوجه » و «الحرم» لغوفمان بإعطاء تمثيل أكثر تفصيلا لإستراتيجيات

التأديب ضمن العلاقات والسلوكيات المختلفة : «نود أن ينظر إلى سعيينا هذا على أنه محاولة لبناء قوس في جسر يربط المفاهيم المجردة للبنية الاجتماعية بالوقائع السلوكية.» (Levinson 1978 :283.) (P. Brown et S.

وقام الباحثان بعرض مفهوم « الوجه الإيجابي » ويفترض هذا المفهوم أن تكون الصورة الشخصية للفرد هي الأخرى إيجابية، ومفاد هذا المفهوم هو حاجة المرء إلى أن يكون مقبولا، وهو نفسه مفهوم الوجه عند غوفمان.

يعود مفهوم الوجه السلبي إلى أهمية احترام الحرم الشخصي للمخاطب. ويمكن أن نأخذ تعريف الوجه السلبي من قول لبراون ولفنسن يتحدثان فيهما عن الآداب السلبية والآداب الإيجابية نصّه : «الآداب السلبية هي جوهر احترام السلوك، هذا لأن الآداب الإيجابية هي نواة لسلوك مألوف ومرح» (Brown. P and Levinson [1978]:129) وهذا الوجهان متواجدان عند كل فرد، وحسب براون ولفنسن أغلب الأفعال مهددة لوجه من وجهي المتخاطبين :

- أفعال مهددة للوجه الإيجابي للمخاطب : إقرار مسبق بفعل مهدد للوجه (FTA) إقرار بالذنب، عدم التحكم في الانفعالات أو الاضطرابات الحركية.
- أفعال مهددة للوجه السلبي للمخاطب : الوعد، الشكر، قبول الاعتذار، الاعتذار، قبول العروض.
- أفعال مهددة للوجه الإيجابي للمخاطب : الانتقاد والعتاب.
- أفعال مهددة للوجه السلب للمخاطب : التطفل على «الحرم»،
- الأسئلة اللامحدودة.
- وللمتكلم الحرية في توظيف هذه الأفعال المهددة لوجهه/ وجه مخاطبه من عدمه.

تتعلق أهمية الأفعال المهددة للوجه بالسياق حيث يحدد براون

ولفنسن ثلاثة عوامل تحدد أهمية هذه الأفعال :

- المسافة الاجتماعية بين المتخاطبين.
- سلطة المخاطب بالنسبة للمخاطب.
- إمكان التهديد عن طريق فعل اللاقول المؤدب داخل الثقافة أو اللغة التي أنتج فيها/ بها.

بصيغة أخرى يمكن أن نقول أن المبادئ العالمية للتفاعل تعطي تعبيراً مختلفاً إلى أحصان الثقافات والمجموعات الاجتماعية المختلفة.

الفكرة الأساسية هي : أن الأنظمة التفاعلية تستند إلى حد كبير على المبادئ العامة، لكن تطبيق هذه المبادئ يختلف منهجياً عبر الثقافات وداخل الثقافات عبر الثقافات الفرعية للفئات والجماعات. «
(.Brown. P and Levinson S.C, [1978]:283)

النموذج النظري للتأدب الذي عرضه كل من براون ولفنسن من خلال مفهوم التنوع الثقافي ودوره في تحديد دلالة الأفعال الكلامية هو ما راجعته وأعدت بناءه كبريات-أوركيوني Catherine Kerbrat-Orecchioni انطلاقاً من مفهوم الوجه والأفعال المهددة والمলطفة وأيضاً الدراسات البيئثقافية ضمن مجال التفاعل القائم على نظرية التأدب.

نموذج براون ولفنسن هو النموذج الأكثر أحكاماً وشهرة واستغلاً، ويمكن أن يلخص بالشكل التالي :

- أنه مستوحى من نموذج غوفمان. يتأسس على مفهومي الحرم والوجه.

- الاهتمام ب- FFA، FTA.
- رغبة الوجه faceWant والعمل الوجهي faceWork.
- ويتم اختيار الملطفات تبعاً لثلاثة عوامل :
- درجة خطورة ال- FTA.
- المسافة الاجتماعية.

- علاقة السلطة.(باتريك شارودو & دومينيك منغنو 2008 : 429).

وقد عيب على هذا المنوال قيامه على تصور للآداب مفرط في السلبية، بل مفرط في القيام على « عقدة الهوس بالذات» يعرض حقل التفاعل بصفته أرضا ملغومة بكل أنواع الـFAT، ويقضي المتفاعلون وقتهم في محاولة إبطال مفعولها، مع أن الآداب يمكن أن تتمثل، ليس فقط في تلطيفا لتهديدات لكن أيضا، وبصفة أكثر إيجابية، في إنتاج « مضادات التهديدات» وبعض الأعمال كالممدح والشكر أو التهنية لها طابع ليس مهددا للوجه بقدر ما هو مثنى لها (باتريك شارودو & دومينيك منغنو 2008 : 429).

المراجع

باتريك شارودو و دومينيك منغنو، (2008)، معجم تحليل الخطاب، تر : عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مر : صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس.

سيلفان أورو، جاك ديشان، جمال كولوغلي، (2012)، فلسفة اللغة، تر : بسام بركة، مر : ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت.
أفلاطون، (1970)، محاوره غورجياس، تر : محمد حسن ظاظا، مر : علي ساسي النشار، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

Kerbrat-Orecchioni C. (1996). La conversation, Paris : Seuil.

Brown. P and Levinson S.C, [1978], (2000), *Politeness Some universals in language usage*, Cambridge university press.

Kant, E. (2001). *Critique de la raison pure*, Trad franç, Paris, PUF

Platon. (1966). *Gorgias*, Texte bilingue, Paris, Les belles lettres.

الملخص

نتناول في هذا المقال نظرية التأدب في مجال اللسانيات. ونحاول أن نؤسس لهذه النظرية انطلاقا من نصوص إيمانويل كانط وجون لوك، بالإضافة إلى المحاوره الشهيرة لغورجياس مع أفلاطون. ثم نتناول النموذج اللساني

الأول لنظرية التآدب الذي عرضه كل من براون ولفنسن (P. Brown & S. Levinson) بوصفه النموذج الأكثر شهرة والأكثر إحكاما. ونشير إلى أن هذا المقال يمثل الجزء الأول من « نظرية التآدب في اللسانيات ».

الكلمات المفتاحية

نظرية التآدب، التخاطب، غورجياس، نموذج براون & لفنسن، رغبة الوجه، الأفعال المهددة للوجه.

Abstract

In this article we deal with theory of politeness in linguistics field and we try to establish the basis of this theory from the texts of E. Kant and J. Locke as the famous debate between Gorgias and Platon. Then we tackle with the first lingual model in the theory of politeness which was exposed by both P. Brown and S. Levinson as the most accurate model.

Keyword

the theory of politeness, conversation, Gorgias, model de Brown & Levinson, face-want, face flattering acts.

Résumé

On abordera dans cet article la théorie de la politesse linguistique à partir des textes de E. Kant et du J. Locke, ainsi que la conversation de Gorgias de Platon. Nous nous attacherons à appliquer, aux textes présentés, le premier modèle de la théorie de la politesse linguistique présenté par P. Brown et S. Levinson.

Mots-Clés

La politesse linguistique, la conversation, Gorgias, système de Brown & Levinson, face-want, face flattering acts.